الفصل السابع

المخطوطات في القدس

نجلاء سعيد مكاوي

تحتل المخطوطات موقعًا فريدًا في الذاكرة الوطنية لأي شعب؛ لذا يولي الأعداء اهتمامًا خاصًّا لحرمان الشعب الرازح تحت الاحتلال من مخطوطاته؛ للإجهاز على هويته الوطنية؛ فالتراث المخطوط لأية أمة من الأمم هو بمثابة العمود الفقري لحضارتها، وتاريخها الثقافي. ولطالما وقعت فلسطين تحت احتلالات عدة، وتعرضت لطمس ملامح هويتها الثقافية، وجذورها العربية، وفي كل مرة كان الشعب الفلسطيني حريصًا على صون مخطوطاته، وتراثه الثقافي؛ للحفاظ على زاده في الكفاح، ومقاومة المحتل، وضمان استمرار تلك المقاومة، وانتصارها.

غني عن القول أن فلسطين كانت الجسر الرابط بين بغداد والقاهرة؛ مما جعلها سوقًا رائجة لمخطوطات هاتين العاصمتين، كما أن مدينة القدس، خلال العصرين المملوكي والعثماني، كانت من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي، حيث وفد إليها الدارسون، وطلاب العلم من جميع البلاد؛ الأمر الذي أثرى الحياة العلمية في هذه المدينة، وجعلها قبلة لكبار علماء العرب والمسلمين. ونشأت المكتبات في المدارس والمساجد، وامتلأت بالوثائق والمخطوطات النادرة التي كتبها أصحابها، القاطنون في المدينة في تلك الفترة؛ مما أدى إلى وجود آلاف المخطوطات في مكتبات القدس، في شتى العلوم، الدينية والطبيعية؛ فكان، بحق، عصرًا أفرز لنا كنوزًا من المخطوطات العربية، سواء التي وضعت، من البداية، بمكتبات القدس الشهيرة، أو التي كانت في المكتبات الخاصة ببيوت رجال العلم بالمدينة، والتي آلت، في النهاية، إلى المكتبات العامة بالقدس. وعلى الرغم من اندثار عدد كبير من هذه المخطوطات، فإن بعض المكتبات لا يزال بها الكثير من المخطوطات، التي ترجع إلى العصرين المملوكي والعثماني، وستتناول هذه الدراسة أهم هذه المكتبات، ونفائس المخطوطات الموجودة بها، وأيضًا الفهارس التي أعدت لتصنيف وحصر المخطوطات في مكتبات القدس، وأسماء العلماء الذين قاموا بإعداد هذه الفهارس.

أولًا: خزائن المخطوطات في القدس

تعددت خزائن الكتب في مدينة القدس، العامة منها والخاصة، وتميز الكثير من هذه الخزائن باحتوائه على الكتب المخطوطة؛ فأضفت قيمة كبيرة وأعطت شهرة واسعة لمكتبات القدس، التي امتلأت خزائنها بالمخطوطات النفيسة والنادرة، وكان أشهرها خزانة المكتبة الخالدية، ومكتبة المسجد الأقصى، والمتحف الإسلامي، فضلًا على خزائن مكتبات الأسر الخاصة، وخزائن الأديرة والكنائس.

١ـ خزانة المكتبة الخالدية

تعتبر من أهم دور الكتب في فلسطين، وأغناها، تقع في خط باب السلسلة، عن يمين الحرم الشريف، كانت مدرسة آلت ملكيتها للسيدة خديجة الخالدي، ابنة القاضي موسى الخالدي، قاضي عسكر بر الأناضول؛ فأوصت ولدها راغب الخالدي، رئيس المحكمة الشرعية، بأن يجعلها وقفًا، وينقل إليها كتب الأسرة الخالدية[١]. وكانت نواة المكتبة مجموعة من المخطوطات التي توارثتها الأسرة الخالدية، وحفظت في ديوان الأسرة بباب السلسلة، ثم ضمت إليها مكتبات أفراد الأسرة الذين توفوا، واشتهروا بالعلم؛ فتجمع في المكتبة عدد كبير من المخطوطات النادرة[٢].

حوت المكتبة الخالدية أكثر من عشرة آلاف كتاب، ثلثاها مخطوطات في شتى المعارف والعلوم، في التفسير، والتجويد، والقراءات، والرسم والأصول، والفقه، والفرائض، والنحو، واللغة، والأدب، والسياسة، والقوانين، وغيرها[٣]. وفهرس المكتبة الخالدية الذي تم إعداده سنة ١٩٧٣ يشير إلى أن عدد المخطوطات الموجود آنذاك لم يتجاوز أربعة آلاف مخطوطٍ؛ فكثيرٌ من المخطوطات التي كان من المؤكد وجودها في خزينة المكتبة الخالدية، ومن جملتها مخطوطات ما يعرف بفضائل بيت المقدس، لم يعد لها وجود، وقد صورت مكتبة الجامعة الأردنية، في السنوات الأخيرة، بعض مخطوطات المكتبة الخالدية، بعد أن صورت بعثة من «معهد المخطوطات العربية» قسمًا منها عام ١٩٥٣[٤].

٢ـ خزانة المسجد الأقصى

تعد من أشهر خزائن الكتب العامة في القدس؛ وذلك لقيمة ما تحتوي عليه من الكتب والمخطوطات، خاصة المخطوطات الدينية، والتي قدر عددها بألف مخطوطٍ، كالمصاحف، والربعات الشريفة، وكان أكثرها في العصرين المملوكي والعثماني[٥]. وعندما شكل المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين، عام ١٩٢١، اهتم بجمع الكثير من المخطوطات الباقية، وأنشأ دارًا للكتب في المسجد الأقصى، وضع فيها ما أمكن جمعه من الأسفار المخطوطة. وافتتحت هذه المكتبة في عام ١٩٢٢، في القبة النحوية، التي كانت مدرسة للنحو والأدب، أنشأها الملك المعظَّم، وضمت العديد من مخطوطات المتحف الإسلامي، ومخطوطات مكتبة الشيخ خليل الخالدي، التي قدِّر عددها بـ ٥٠٠ مخطوطٍ، وأضيف إليها في السنوات الأخيرة عدد كبير من المخطوطات التي نجت من عوامل الزمن[٦].

٣ـ المتحف الإسلامي

أسسه المجلس الإسلامي الأعلى في عام ١٩٢٣، ومقره جامع المغاربة القديم، قرب جامع النساء، في الجزء الجنوبي الغربي من الحرم القدسي، ويحتوي المتحف على مخطوطات نادرة من المصاحف، يقدر عددها بـ ٦٥٠ مصحفًا، كتب

معظمها بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري، ومن نوادر مقتنيات المتحف، نصف مصحف قديم، مكتوب على رَق(*)، بخط كوفي، يرجع تاريخه إلى القرن الثاني الهجري[٧].

في المتحف الإسلامي صندوق كبير يضم مصحفًا مخطوطًا كتبه بخط اليد ـ على رق للمسجد الأقصى ـ السلطان أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني، أحد ملوك المغرب، وتاريخه يرجع لعام ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤م، وصندوق مزخرف بالميناء، على الطريقة الأندلسية. ومن المصاحف المهمة، أيضًا، في خزانة المتحف مصحف كبير وقفه على المسجد الأقصى ناظر الحربية العثمانية، أنور باشا، عام ١٩١٧م[٨].

٤ ـ خزائن الأسر الخاصة

(أ) خزانة آل البديري

آل البديري من الأسر العريقة في القدس، وكان لديهم خزانة كبيرة غنية بمخطوطاتها، ولكنهم اقتسموها، فتشتت شملها، وأكبر قسم من مخطوطات تلك الخزانة عند الشيخ محمد أفندي البديري، وقد أودعت في جناح من أجنحة المسجد الأقصى فيما بعد[٩]. وضمت الخزانة ألف مخطوطٍ، أما المخطوطات الباقية منها فهي في حالة سيئة بسبب الإهمال، وقد صورها مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية[١٠].

(ب) خزانة آل قطينة

وهي توجد بالقدس بباب العمود، وآل قطينة أسرة حنبلية، يقال إنهم الحنابلة الوحيدون في القدس، وفي هذه الخزانة مخطوطات نفيسة في الرياضيات، والفلك، والتنجيم، ولكن معظم هذه المخطوطات تبعثر، واندثر[١١].

(جـ) خزانة الشيخ خليل الخالدي

يعد من أشهر العلماء العرب، ومن أعلم الناس بالمخطوطات، وأماكنها، ولد بالقدس، وتعلم بمصر، ووُلي قضاء حلب، وكان رئيسًا لمجلس التدقيقات الشرعية في إستانبول، ورئيسًا سابقًا لمحكمة الاستئناف الشرعية ببيت المقدس، واطلع على معظم خزائن البلدان العربية، وجمع في مكتبته ما يقرب من خمسة آلاف مخطوطٍ[١٢]. وعندما توفي عرضت مخطوطاته في داره الكائنة في الزاوية الشمالية الغربية من الحرم لسنوات طويلة، ثم نقلت إلى المتحف الإسلامي، ثم إلى مكتبة المسجد الأقصى، وضاع منها الكثير، أما الباقي فمحفوظ في صناديق تحتاج للصيانة والفهرسة[١٣].

بالإضافة إلى العديد من المكتبات الخاصة التي حوت نوادر من المخطوطات، والتي كانت موجودة في بيوت شيوخ المدارس، ورجال العلم، وقدر عددها بالمئات، حيث كان وجود المخطوطات في بيوت العلماء أمرًا شائعًا، ولعل من أشهرها مكتبة حسن الترجمان، الذي كان يجمع كل ما وقع تحت يديه من مخطوطات، حتى وصل عدد المخطوطات، في

(*) المادة الأصلية للرَّق من أصل حيواني، تستخدم فيه جلود الخراف، والماعز، والبقر، والغزال، وكان الرق يُصنَّع عن طريق نزع الشعر من جذوره، وإزالة النجاسات الموجودة عليه، باستعمال الجير، أو أية مادة حفظ أخرى، ويترك ليجف مع شَدِّه على إطار خشبي، وعملية الشد هذه هي التي تفرق بين الرق والجلد، وكانت الكتابة تتم عادة على الوجه الأملس، أما حجم الرق فكان يختلف باختلاف طول الحيوان المستمد منه.

انظر: أيمن فؤاد السيد، **الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات**، جزء ١، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧، ص ١٨.

مكتبته، نحو تسعمائة مخطوطٍ. أما الشيخ محمد صنع الله الخالدي، الذي كان (رئيس كُتَّاب) المحكمة الشرعية بالقدس، وتوفي عام ١١٤٠هـ/ ١٧٢٧م، ففي فهرست المكتبة الخالدية بالقدس مخطوط رقم ١٤٥٧ عنوانه: «أسماء الكتب التي وقفها محمد صنع الله الخالدي على أولاده وأحفاده»، والتي كان عددٌ كبيرٌ منها مخطوطًا. أيضًا، الشيخ برهان الدين إبراهيم، خطيب المسجد الأقصى، ومدرس المدرسة الصلاحية ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م، كانت له مكتبة نفيسة، حوت نسخًا من المخطوطات القيِّمة، بخطوط المصنِّفين، وكان عددها كبيرًا جدًّا[١٤]. بالإضافة إلى المخطوطات التي حفظت بمكتبات المدارس والزوايا، والتي نمت نموًّا ملحوظًا في العصرين المملوكي والعثماني، حيث النهضة العلمية التي شهدتها المدينة إبان هذين العصرين، ولكن عددًا كبيرًا من المخطوطات اندثر وأُتلف، إما لعوامل زمنية أهلكته، وإما بفعل الاحتلال الصهيوني والحروب.

٥ ـ خزائن الأديرة والكنائس

ثمة مخطوطات نادرة في عدد من خزائن الأديرة والكنائس بالقدس، والتي من أشهرها مكتبة دير مارسابا، الذي يقع على مقربة من سلوان، وبناه القديس مارسابا عام ٤٨٤م، وهو يحتوي على ٣٠٠ مخطوطٍ نادرٍ[١٥]. وقد أُضيفت محتويات هذه المكتبة إلى دير الروم، أو البطريركية الأرثوذكسية في القدس، التي يبلغ عدد مخطوطاتها أكثر من ألفي مخطوطٍ، بإحدى عشرة لغة، أهمها اليونانية والعربية والسريانية، وثلاثة أرباع المخطوطات باللغة اليونانية، وقد كتبت هذه المخطوطات فيما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر الميلادي. ووضع للمكتبة فهرسٌ مطبوعٌ عام ٨٨٣هـ. فضلًا على مكتبة دير السريان، للسريان الأرثوذكس في القدس، وهو واقع في حارة الشرف، بين حارتي الأرمن واليهود، وفي هذا الدير مكتبة حافلة بالمخطوطات والوثائق، بقي منها ثلاثمائة واثنان وستون مخطوطًا، محفوظة بكل حرص، منها عدد وافر مكتوب على رق غزال، ومنها ما هو مزيَّن بالصور الرائعة، وفيها صكوك، وحجج قديمة، وفرمانات سلطانية، ورسائل مهمة، استند إليها بعض الباحثين في تاريخ بلاد المشرق، وخاصة القدس[١٦].

ثانيًا: نفائس المخطوطات في القدس

المكتبة الخالدية، ومكتبة المسجد الأقصى هما أكثر مكتبات القدس ثراءً بالمخطوطات العربية النفيسة والقيّمة، وتوضح الفهارس التي وضعت لحصر وتصنيف المخطوطات في هاتين المكتبتين أهمية وندرة تلك المخطوطات، وفيما يلي عرض لنفائس المخطوطات في خزانتي المكتبة الخالدية، ومكتبة المسجد الأقصى:

١ ـ نفائس المخطوطات في المكتبة الخالدية

المكتبة الخالدية ـ كما سبق ذكره ـ تحتوي على نوادر المخطوطات العربية الموجودة بمدينة القدس، وتناولت هذه المخطوطات شتى العلوم، فمن الاطلاع على فهارس المكتبة يتضح جليًّا أن معظمها يعد مصدرًا مهمًا لدراسة العديد من العلوم، سواء في اللغة، أو الأدب، أو الدواوين، والفلك، والتراجم، والرياضيات، وغيرها. وحيث إن المجال لا يتسع لسردها وذكرها تفصيلًا فسوف يرد أهمها، أو ما يعد حقًّا من نفائس المخطوطات العربية عامة، ونفائس الخزانة الخالدية خاصة، ومنها المخطوطات في الأدب، مثل:

(مختصر حياة الحيوان)، لجلال الدين السيوطي، المتوفى عام ٩١١هـ/ ١٥٠٥م، وهو مختصر لحياة الحيوان

الصغرى، لكمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدميري[١٧]. (الأول من النوادر) لمحمد بن زياد بن الأعرابي، وقد ذكر عنه في كتاب (بغية الوعاة للسيوطي)، وكشف الظنون، والنسخة فريدة، وقيِّمة جدًّا، وبحالة جيدة، فضلًا على المخطوط المهم (الكنايات) للجرجاني[١٨].

في الدواوين والمدائح النبوية: (إيضاح المبهم بشرح لامية العجم)، لمؤلفه سعيد بن مسعود الصنهاجي أبو جمعة[١٩]، وهي نسخة جيدة وسليمة.

(شرح القصائد النجديات في النسيب)، لأبي المطهر محمد بن أحمد الأبيوري الأموي، وهي قصائد في النسيب، عدد أبياتها ألف، وقال ابن السمعاني عن صاحبها «أوحد عصره، وفريد دهره، في معرفة اللغة والأنساب، وغيره». ومن ذلك المخطوط نسخ متعددة، وعنه بحث قيم في المجلة الألمانية ZDMG.

وفي مجال علم النحو ضمت خزانة المكتبة العديد من المخطوطات النفيسة والقيمة، منها، على سبيل المثال، (رفع الاشتباه عن إعراب كلمة لا إله إلا الله)، لإبراهيم بن حسن الكوراني الشهراني الشافعي، وهي رسالة حسنة، في عشر كراريس، بحث فيها عن وجوه إعراب الشهادة، والنسخة جيدة الخط.

(المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية)، لبدر الدين العيني الحلبي، وهي الشواهد المعروفة بالكبرى، والنسخة حسنة منقولة من نسخة المؤلف عام ٨٦٢هـ. (البهجة الوفية بحجية الألفية)، لأبي البركات بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد الغزي العامري الدمشقي الشافعي، وهي نسخة قيِّمة وصحيحة، مكتوبة عام ٩٤٠هـ بخط نسخي جيد[٢٠]. (شرح رسالة الألغاز النحوية)، لابن أسد النحوي[٢١].

في التراجم، كتابان على جانب كبير من الأهمية، هما: (رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ)، لأبي المحاسن جمال الدين يوسف بن شاهين الكركي، المشهور بسبط ابن حجر العسقلاني، وتشتمل النسخة على النصف الثاني من الكتاب، وهي مسودة المؤلف، وعليها خط الحافظ زين الدين أبي الفضل القاسم، المشهور بابن قطلوبغا. وكتاب (الطبقات السنية في تراجم الحنفية)، لتقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي المصري، وهي نسخة جيدة، في مجلد ضخم، بخط دقيق واضح، عليها خط المؤلف، ومنها نسخ عديدة في مكتبات الشرق والغرب[٢٢].

من الكتب المخطوطة المهمة بالخزانة الخالدية، كتاب (إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى)، لأبي عبد الله محمد بن شهاب الدين السيوطي، ويتناول بالتفصيل المسجد الأقصى، وفضائله، وفضائل زيارته، ويتحدث عن الصخرة الشريفة، وأوصافها، وعن الإسراء والمعراج بالتفصيل، وعن فتح أمير المؤمنين، عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)، للقدس. كما يدخل الكتاب في تفصيلات سيرة سيدنا إبراهيم، وسيدنا موسى (عليهما السلام)، ويختتم الكتاب بالحديث عن فضل الشام، وما ورد في ذلك من الآثار والأخبار(*).

في علم الحديث توجد العديد من المخطوطات النادرة، مثل: (الترتيب والتفسير بمعرفة سنن البشير النذير)، لأبي زكريا يحيى بن شرف النواوي، وهي نسخة مضبوطة، كتبها داود ابن أغلبك بن علي الحنفي عام ٧٠٧هـ. و(الكوكب

(*) هذا الكتاب قسمان، نشر كل قسم في جزء، ونشرت الجزءين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤، وقام بتحقيقه الدكتور أحمد رمضان أحمد. (انظر: أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق د. أحمد رمضان أحمد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤).

المنير لشرح الجامع الصغير للجلال الأسيوطي)، ألفه شمس الدين محمد بن عبد الرحمن العلقمي الكوكبي، وموجود منه الأجزاء ١، ٢، ٤، كُتب عام ١٠٤٦هـ. و(كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح)، للحسين بن مسعود البغوي، أخرجها صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوي السلمي، وهي نسخة حسنة، ترجع إلى زمن المؤلف. و(جامع الأصول لأحاديث الرسول)، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن الأثير الشيباني الجزري، كتبها بعض تلاميذ المصنف عام ٦٣٥هـ. و(جامع الأصول لأحاديث الرسول لابن الأثير)، الجزء التاسع، وقد كتب على هامشه أن محمد بن أبي بكر الرازي، صاحب مختار الصحاح، قد قرأه على الإمام أبي المعالي صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي عام ٦٦٦هـ. و(النهاية في غريب الحديث)، لمجد الدين بن الأثير، الجزء الأول منها كتبه محمد بن نصر بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجزري، ابن أخي المؤلف، عام ٦٩٢هـ، والنسخة جيدة، وحسنة الخط[٢٣].

بالإضافة إلى المجموعات التي تحتوي على الرسائل، مثل مجموعة فيها (مرشدة السالك لأداء المناسك)، لعبد الوهاب بن أحمد عربشاه. و(شفاء الكليم في مدح النبي الكريم)، نظمًا له وبخطه. ومجموع رسائل لابن كمال باشا، منها (تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية)، وله مجموع آخر فيه رسائله، أيضًا، وابن كمال هو شمس الدين أحمد بن سليمان، أحد شيوخ الإسلام في عهد السلطان سليمان العثماني، وتوفي عام ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م. و(رسالة النجوم الزاهرة في حوادث مصر والقاهرة)، تأليف السلطان مصطفى ابن السلطان أحمد العثماني، المتوفى عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م، وهي نسخت عام ١٢٠٤هـ[٢٤]. ومجموع فيها (شرح الفقه الأكبر) المنسوب لأبي حنيفة، ألفه كمال الدين البابرتي، و(أحوال السلف وطبقاتهم)، لابن كمال باشا. و(رسالة في الحكم العقلي)، لعبد الحليم الشافعي. و(تبييض الصحيفة بمناقب الإمام أبي حنيفة) لجلال الدين السيوطي[٢٥].

٢ـ نفائس مخطوطات المسجد الأقصى

تعتبر المصاحف والربعات الشريفة من أهم نفائس خزينة المسجد الأقصى، وقد وقفها السلاطين والأمراء على المسجد، وعندما فتح صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس، عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧ م، حمل إلى محراب المسجد الأقصى مصاحف، وختمات، وربعات شريفة. ومما وقف على المسجد الأقصى المصحف الذي كتبه السلطان أبو سعيد عثمان المريني بخط يده، وأرسله إلى المسجد الأقصى عام ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م[٢٦].

في خزانة المسجد الأقصى نسخة من القرآن الكريم، موجود منها نحو نصفها، كتبت بالخط الكوفي، وهي لمحمد بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[٢٧]. فضلًا على نسخة من القرآن الكريم، النصف الثاني منه، مكتوبة على ورق صقيل بالخط الثلث، ترجع إلى أيام المماليك، الهوامش مذهبة، وأسماء السور مكتوبة بحبر أبيض على أرض ذات زخارف بديعة، غنية بنقوشها الهندسية، وألوانها الذهبية الزاهية، الحمراء، والزرقاء، وكل ألفاظ الجلالة مكتوبة بالذهب. والجزآن الثاني عشر والتاسع عشر من القرآن العظيم بخط نسخي جيد، وقفت على المسجد الأقصى. والجزء التاسع منه مكتوب برواية أبي عمرو بن العلاء، مؤرخ عام ٩١٨هـ، وقفه محمد بن الحافي. والجزء الثامن منه مكتوب بقاعدة ثلثية عثمانية، مذهَّب، في أوله لوحة حسنة التذهيب، وهو من ربعة وقفها السلطان العثماني على قبة الصخرة الشريفة[٢٨].

في المكتبة أيضًا ربعة شريفة ثلاثون جزءًا، مكتوبة على رق غزال، بقلم مغربي رائع في جماله، وهوامش الأجزاء

منقوشة بنقوش جميلة، وأسماء السور عُني بزخرفتها عناية فائقة، ولكل جزء من الأجزاء الباقية جلد مزركش بالفضة والذهب، وفي آخر كل جزء مكتوب بخط مذهب ما نصه: «كتبها، وأوقفها على المسجد الأقصى المبارك عبد الله علي أمير المسلمين ابن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، ملك المغرب، سنة خمس وأربعين وسبعمائة للهجرة». ولهذه الربعة صندوق من جلد دقيق النقش، والصنعة، محلى بزخارف فضية وذهبية ثمينة. وربعة شريفة أخرى، ثلاثون جزءًا بخط ثلث حسن، جيد النقش والزخرفة، وخصوصًا صدور السور، وفواصل الآيات الكريمة، وكل أسماء الجلالة منقوشة بماء الذهب، ولتلك الربعة صندوق خشبي ذو نقوش رائعة، كتب عليها بعض آيات الذكر الحكيم، والأحاديث النبوية[٢٩].

لعل من أنفس ما حوته الخزانة، وأشار إليه مفهرسوها، مخطوط كتاب (نشق الأزهار في عجائب الأقطار)، لأبي البركات محمد بن أحمد بن إياس[٣٠]، وبه ذكر لأغرب ما رآه المؤرخ من عجائب مصر، وأعمالها، وفيه، أيضًا، ذكر لملوكها القدماء، وأخبار النيل، والأهرام[٣١]. ومخطوط (تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم)، لأبي بكر الخطيب علي بن ثابت البغدادي، المتوفى عام ٤٦٤هـ/ ١٠٧٢م، وهي نسخة قيمة جدًّا، صحيحة ومضبوطة، كتبت عام ٥٧٧هـ. ومخطوط (كتاب الأقاليم)، لأبي إسحاق إبراهيم محمد الفارسي الإصطخري، المتوفى عام ٣٤٠هـ/ ٩٥٢م، وقد طبعه المستشرق مولر Muller، ويقال إن ذلك المخطوط يرجع إلى القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري[٣٢].

كما توفرت نسخة نفيسة من مخطوط (طبقات الشافعية)، لتقي الدين أبي بكر بن أحمد بن عمر بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي الشافعي، وهو مقسم إلى تسعة وعشرين فصلًا، ومن هذا الكتاب نسخ متعددة. ومخطوط (الفوائد السنية في شرح الألفية)، لمحمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي البرماوي الشافعي، وهو شرح ألفية في أصول الفقه الشافعي، واسمها النبذة الذكية في القواعد الأصلية، والنسخة حسنة، مكتوبة عام ٨٦٨هـ، وفي المكتبة نسخة أخرى مكتوبة في السنة نفسها . هذا بالإضافة لعدة كتب مخطوطة أخرى، على جانب كبير من الأهمية، مثل: (الكواكب الدرية في مدح خير البرية)، لناصر الدين بن عبد الصمد المالكي، و(إرشاد الغاوي إلى مسالك الحاوي)، لشرف الدين الشافعي الشاوري اليمني، و(الخصائل في المسائل الفقهية)، لنجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النسفي، و(إيضاح مختصر القدوري أبي الحسين أحمد بن محمد البغدادي)، لركن الدين عبد الرحمن بن محمد الكرماني، و(البهجة المرضية في شرح الألفية لابن مالك)، لجلال الدين السيوطي[٣٣].

يرجع وجود العديد من المخطوطات، في مكتبة المسجد الأقصى إلى أن الكثير من العلماء كانوا حريصين على إرسال نسخة من مؤلفاتهم إلى المسجد الأقصى؛ لتحفظ في خزانته. وكانت هذه النسخ تعرف باسم (نسخ القدس)؛ الأمر الذي جعل خزانة المسجد الأقصى من أشهر خزائن القدس، لما تحويه من النوادر، والنفائس.

ثالثًا: فهارس المخطوطات في القدس

قام عدد من العلماء العرب من أبناء القدس وغيرها، فضلًا على علماء الغرب، أيضًا، بعمل فهارس لمخطوطات مكتبات القدس، واعتنى الكثيرون بقراءة، وتصنيف هذه المخطوطات، وفهرستها، وكان أول من بدأ بالكتابة عن

المخطوطات في القدس عبد الله مخلص(*) عام ١٩٢٤؛ فقد كتب مقالة، ذكر فيها قرابة خمسين مخطوطة من مخطوطات المكتبة الخالدية في القدس، وكان عنوان هذه المقالة التي نشرت في مجلة المجمع العلمي بدمشق: (نفائس الخزانة الخالدية في القدس الشريف).

لعل من كبار العلماء الذين عنوا بالمخطوطات في: فلسطين وفهرستها الدكتور محمد أسعد طلس(**)، الذي كتب مجموعة من المقالات تحت عنوان: (دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها)، ونشرت في مجلة المجمع العلمي العربي، وهي من أهم ما كتب عن المخطوطات في مكتبات القدس؛ حيث إنه عرض بالتفصيل لنفائس مخطوطات المسجد الأقصى والمكتبة الخالدية.

أما بالنسبة للمخطوطات نفسها، فيوجد مخطوط على درجة كبيرة من الأهمية، يتناول مكتبات القدس، ونوادر مخطوطاتها، وهو لطاهر الجزائري(***)، ويحمل عنوان: (فهرس منتخبات لنوادر الكتب من فهارس الآستانة والسلطانية بالقاهرة والأحمدية والعثمانية بحلب وخزانة باريس والظاهرية بدمشق وبيت المقدس ومعارف بغداد)، مخطوط بدار الكتب المصرية، «فهارس تيمور». كما وضع طاهر الجزائري برنامج المكتبة الخالدية العمومية بالقدس عام ١٩٠٠م.

بالإضافة إلى علماء الغرب الذين قاموا بوضع فهارس لمخطوطات القدس، فكان منهم جراف G. Graf، الذي أعد فهرسًا للمخطوطات العربية المسيحية في القدس، وقد تناول القسم الأول منه مخطوطات المعهد الملكاني للقديسة آنا، وتناول القسم الثاني مخطوطات الأقباط، أما القسم الثالث فتناول مخطوطات دير اليونان. ونشر هذا الفهرس على أجزاء في مجلة «الشرق المسيحي»، كما كتب جرومان A. Grohmann عن البرديات العربية في متحف الآثار في كتابه «علم البرديات العربية». ناهيك عن كلارك K. W. Clark، الذي أعد قائمة بالمخطوطات في مكتبات بطرخانة اليونان، وبطرخانة الأرمن في القدس، مصورة على ميكروفيلم لمكتبة الكونجرس. كما قام كويكيلدس K. M. Koikylides بإعداد فهرس للمخطوطات العربية الموجودة في مكتبة بطريركية الأراضي المقدسة بدير اليونان(٣٤).

يبقى القول بأن التراث المخطوط هو أغلى وأنفس ما تقتنيه المكتبات العربية عامة، ومكتبات القدس بوجه خاص؛

(*) هو عبد الله بن محمد عبد الله مخلص، كاتب له اشتغال بالأدب والتاريخ، يماني الأصل، ولد في حلب، كان من أعضاء المجمع العلمي العربي، وله في مجلة المجمع العلمي العديد من الأبحاث، وقد صنف كتبًا ورسائل منها (تاريخ الجليل)، (تاريخ صفد)، (تاريخ بيت لحم)، (أدوات الزينة عند نساء العرب) وهي مخطوطة، عمل مديرا للأوقاف الإسلامية بالقدس.

انظر: فؤاد إبراهيم عباس، **موسوعة بيت المقدس**، الجزء ٧، بيت المقدس في التراث الإسلامي والعالمي، القاهرة، دار المنار، ٢٠٠٠، ص ٢٣١.

(**) من كبار علماء المخطوطات العربية، كشفًا عنها وتحقيقًا لها، ولد بحلب، وتعلم بها، وانتقل إلى دمشق، استقر بها حتى وفاته، كان أمينا عامًا لوزارة الخارجية السورية، وفي ميدان الكشف عن المخطوطات العربية وضع «الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف» ببغداد؛ فكان له الفضل الأول في تعريف العالم الإسلامي بهذه المخطوطات.

انظر: منجد، **مرجع سبق ذكره**، ص ٦ – ٧.

(***) الشيخ طاهر الجزائري، كان قد جاء إلى القدس منفيًا من دمشق، بأمر من السلطة العثمانية، وكان من أكبر غواة الكتب، وصديقًا حميما لراغب الخالدي مؤسس المكتبة الخالدية؛ فكلف الثاني الجزائري بأن يساعده في تبويبها، وفهرستها.

انظر: الموسوعة الفلسطينية، **مرجع سبق ذكره**، ص ٣٠٤، ٣٠٥.

ذلك لأن الكتاب المطبوع مهما ندر، وغلا ثمنه، يمكن أن يُعوَّض، وليس الحال كذلك بالنسبة للمخطوطات؛ فكل نسخة من نسخ الكتاب الواحد مهما تعددت، لها قيمتها الذاتية؛ لأنها كثيرًا ما تختلف عن غيرها من النسخ في نصها، ولأنها تتميز بخطها، ومدادها، وحجمها، وتاريخ نسخها، ونوع ورقها، وبما قد تحمله من التمليكات، والسماعات، والمقابلات، وغيرها من مظاهر توثيق النص[٣٥]. ولا تزال المخطوطات في القدس في حاجة للعناية، والاهتمام، والجرد، والصيانة؛ لحماية ما تبقى منها، وتصويرها، والقيام بفهرستها فهرسة علمية، تفيد القارئ العربي، وتضع بين يديه قوائم بأسماء هذه المخطوطات ومؤلفيها، حتى يمكننا الاستفادة من تراثنا العربي، على خير وجه، هذا التراث الذي يجب الحفاظ على بقاياه بشتى الطرق والوسائل؛ حفاظًا على الهوية والذاكرة الوطنيتين.

* * *

هوامش الفصل السابع:

(١) عرفة عبده علي، **القدس العتيقة، مدينة التاريخ والمقدسات**، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٧، ص ٧٤ – ٧٥.

(٢) **الموسوعة الفلسطينية**، القسم ٢، المجلد ٣، بيروت، ١٩٩٠، (انظر: كامل العسلي، التربية والتعليم في فلسطين، ص ٣٠٤).

(٣) علي، **مرجع سبق ذكره**، ص ٧٥.

(٤) كامل العسلي، آثار القدس ومخطوطاتها، **شؤون عربية**، (تونس)، العدد ١٥، مايو/ آيار ١٩٨٢، ص٣٠٨.

(٥) علي، **مرجع سبق ذكره**، ص ٧٢.

(٦) الموسوعة الفلسطينية، **مرجع سبق ذكره**، ص ٣٠٢.

(٧) العسلي، **مرجع سبق ذكره**، ص ٣٠٨.

(٨) – الموسوعة الفلسطينية، **مرجع سبق ذكره**، ص ٣٠٢.

(٩) أسعد طلس، دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها، (انظر: صلاح الدين منجد، **المخطوطات العربية في فلسطين**، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢، ص ٨ – ٦٢).

(١٠) الموسوعة الفلسطينية، **مرجع سبق ذكره**، ص ٣٠٥.

(١١) علي، **مرجع سبق ذكره**، ص ٧٣.

(١٢) مصطفى مراد الدباغ، **بلادنا فلسطين**، القسم ٢، الجزء ١٠، (في بيت المقدس)، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٦، ص ٣٧٧.

(١٣) الموسوعة الفلسطينية، **مرجع سبق ذكره**، ص ٣٠٦.

(١٤) الموسوعة الفلسطينية، **مرجع سبق ذكره**، ص ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٠٦.

(١٥) يوسف نجيب، **القدس عبر التاريخ، دراسة كتابية وتاريخية وأثرية للقدس والأراضي المقدسة مدعمة بالخرائط والصور**، القاهرة، مطبعة المصريين، ٢٠٠٤، ص ٩٨.

(١٦) الموسوعة الفلسطينية، **مرجع سبق ذكره**، ص ٣٠٧ – ٣٠٨.

(١٧) طاهر الجزائري، **منتخبات النوادر والكتب، من فهارس الآستانة والسلطانية بالقاهرة والأحمدية والعثمانية بحلب وخزانة باريس والظاهرية بدمشق وبيت المقدس ومعارف بغداد**، القاهرة، مخطوط بدار الكتب، ١٨ فهارس تيمور، ميكروفيلم رقم ٣٠٠٧٠، ص ٣٠٠.

(١٨) **المصدر نفسه.**

(١٩) **المصدر نفسه.**

(٢٠) طلس، مرجع سبق ذكره، ص ٣٦، ٤٢.

(٢١) الجزائري، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٠٠.

(٢٢) طلس، مرجع سبق ذكره، ص ٤٥ – ٤٦.

(٢٣) طلس، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤ ، ٢٥، ٢٦.

(٢٤) عبد الله مخلص، **نفائس الخزانة الخالدية في القدس الشريف**، ص ٦٨ ، ٦٩. (انظر: صلاح الدين منجد، **مرجع سبق ذكره**).

(٢٥) طلس، مرجع سبق ذكره، ص ٦١.

(٢٦) الموسوعة الفلسطينية، **مرجع سبق ذكره**، ص ٢٨٧.

(٢٧) كوركيس عواد، **أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم المكتوبة منذ صدر الإسلام حتى عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م**، القاهرة، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٢، ص ٤٥.

(٢٨) –طلس، مرجع سبق ذكره، ص ١٥ ، ١٦.

(٢٩) **المرجع نفسه.**

(٣٠) علي، مرجع سبق ذكره، ص ٧٢ .

(٣١) طلس، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠ .

(٣٢) علي، مرجع سبق ذكره، ص ٧٢ .

(٣٣) طلس، مرجع سبق ذكره، ص ١٨ – ٢٠.

(٣٤) فؤاد سزكين، **تاريخ التراث العربي، مجموعة المخطوطات العربية في مكتبات العالم**، ترجمة: محمود فهمي حجازي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٩١، ص ١٨٦، ١٨٧.

(٣٥) عبد الستار الحلوجي، **المخطوط العربي**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٢، ص ٢٦٥.

* * *